كن واعياً

يا بنتي

بقلم الشيخ

علي الطنطاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على النبي الكريم.. أما بعد

فهذه رسالة كتبها الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، وهو أديب الفقهاء وفقيه الأدباء، وقد نصح فيها بناته، بنات المسلمين، ووقعت نصيحته موقعها، واستفادت منها بنات المسلمين، وترجمت هذه الرسالة إلى عدّة لغات حينها.

وما أشبه الليلة بالبارحة، فما زال أعداء الفتاة المسلمة يكيدون لها ليل نهار لتنفلت من دينها، وتنسلخ من عفتها وطهارتها، خطوةً خطوة، من حيث لا تشعر.

والفتاة المسلمة هي ركيزة الأسرة، وحصن المجتمع الحصين، وإذا تصدّع هذا الحصن فاقرأ على المجتمع السلام!

نقدم هذه الرسالة الصادقة المشفقة مجددًا، لتقرأها الفتاة بتمعن، وتنتبه من غفلتها، وتحصّن نفسها، وتعمل على تحصين غيرها من أخواتها وصديقاتها والمحيطات بها.

نسأل الله أن ينفع بها..

أحمد بن علي البيّت

مدير برنامج واعي

١٧/ ١٠/ ١٤٤٤هـ

يا بنتي

يـا بنتي، أنا رجل يمشـي إلى الخمسـين[1]، قد فارق الشـبابَ وودع أحلامَـه وأوهامـه، ثـم إنـي سُـحت فـي البلـدان، ولقيـت النـاس، وخبـرتُ الدنيـا، فاسـمعي مني كلمـةً صحيحـة صريحة مـن سِـني وتجاربـي، لم تسـمعيها مـن غيري.

لقـد كتبنـا وناديـنا ندعو إلى تقويـم الأخلاق، ومحو الفسـاد، وقهـر الشـهوات حتـى كلَّـت منـا الأقـلامُ، وملـت الألسـنة، وما صنعنـا شـيئًا، ولا أزلنا مُنكرًا، بـل إن المنكرات لتزداد، والفسـادَ ينتشـر، والسُّـفور والحسـور والتكشُّـف تقـوى شِـرَّته، وتتسـع دائرتـه، ويمتـد مـن بلـد إلـى بلـد، حتـى لـم يبـق بلـد إسـلاميٌّ - فيمـا أحسـب- فـي نجـوة منـه، حتـى الشـام التـي كانـت فيهـا المـلاءةُ السـابغة، وفيهـا الغلـو فـي حفـظ الأعـراض، وسـتر العـورات، قـد خـرج نسـاؤها سـافراتٍ حاسـرات، كاشـفات السـواعد والنحـور...

ما نجحنا وما أظن أننا سننجح، أتدرين لماذا؟

لأننـا لـم نهتـد -إلى اليـوم- إلى بـاب الإصلاح، ولـم نعرف طريقه.

---

(١) كان ذلك يوم كتابة المقالة، وقد توفاه الله تعالى عام ١٤٢٠هـ، عن عمرٍ ناهز التسعين عامًا، رحمه الله.

إنَّ بـاب الإصـلاح أمامـك أنـت يا بنتـي، ومفتاحه بيـدك، فإذا آمنـتِ بوجـوده، وعملتِ علـى دخوله، صلحـت الحال.

صحيـح أن الرجـل هـو الـذي يخطـو الخطـوةَ الأولـى فـي طريـق الإثـم، لا تخطوهـا المـرأة أبـدًا، ولكـن لـولا رضـاك مـا أقـدم، ولـولا لِينـك مـا اشـتد، أنـت فتحتِ لـه وهو الـذي دخل، قلـتِ للصِّ: تفضـل ... فلما سـرقك اللِّصُّ ، صرخـتِ: أغيثوني يـا نـاس ، سُـرقت ... ولو عرفتِ أن الرجال جميعًـا ذئابٌ، وأنتِ النعجـةُ، لفـررت منهـم فـرارَ النعجـة مـن الذئـب، وأنهـم جميعًا لصـوص، لاحترسـتِ منهـم احتـراس الشـحيح مـن اللِّصِّ.

وإذا كان الذئـب لا يريـد مـن النعجة إلا لحمَهـا، فالذي يريده منـك الرجـل أعـزُّ عليـك مـن اللحم علـى النعجـة، وشـرٌّ عليك مـن المـوت عليهـا، يريـد منك أعزَّ شـيء عليـك: عفافَـك الذي بـه تشـرفين، وبـه تفخريـن، وبـه تعيشـين، وحيـاةُ البنـت التـي فجعهـا الرجـلُ بعفافهـا، أشـدُّ عليهـا بمئـة مـرة من المـوت على النعجـة التـي فجعها الذئـبُ بلحمها ... إي والله، وما رأى شـابٌ فتـاةً إلا جردهـا بخيالـه مـن ثيابهـا، ثـم تصورها بـلا ثياب.

إي والله، أحلـف لـكِ مـرة ثانيـة، ولا تصدقي مـا يقوله بعضُ الرجـال، مـن أنهـم لا يرون فـي البنـت إلا خُلقها وأدبهـا، وأنهم يكلمونهـا كلامَ الرفيـق، ويودونهـا ودَّ الصديق.

كذب والله، ولو سمعتِ أحاديث الشباب في خلواتهم، لسمعت مهولًا مرعبًا، وما يَبْسِم لك الشابُ بسمةً، ولا يلين لك كلمةً، ولا قدم لك خدمةً، إلا وهي عنده تمهيدٌ لما يريد، أو هي على الأقل إيهامٌ لنفسه أنها تمهيد.

وماذا بعد؟ ماذا يا بنت؟ فكِري.

تشتركان في لذةِ ساعة، ثم ينسى هو، وتظلين أنت أبدًا تتجرعين غُصصها، يمضي (خفيفًا) يفتش عن مُغفلة أخرى يسرق منها عِرضها، وينوء بك[1] أنت ثِقل الحمْل في بطنك، والهمّ في نفسك، والوصمة على جبينك، يغفر له هذا المجتمعُ الظالم، ويقول: شابٌ ضلَّ ثم تاب، وتبقين أنت في حمأة الخزي والعار طول الحياة، لا يغفر لك المجتمع أبدًا.

ولو أنك إذا لقيته نصبتِ له صدرَك، وزويتِ عنه بصرَك، وأريته الحزمَ والإعراض ... فإذا لم يصرفه عنك هذا الصدُّ، وإذا بلغت به الوقاحةُ أن ينال منك بلسان أو يد، نزعتِ حذاءك من رجلك، ونزلت به على رأسه.

لو أنك فعلت هذا، لرأيت من كلِّ من يمرُّ في الطريق عوّنًا لك عليه، ولما جرؤ بعده فاجرٌ على ذات سِوار، ولجاءك

---

(١) هذا هو التعبير الأفصح. قال تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾.

-إن كان صالحًا - تائبًا مستغفرًا، يسأل الصلة بالحلال، جاءك يطلب الزواج.

والبنت مهما بلغت من المنزلة والغنى والشهرة والجاه، **لا تجد البنت أملَها الأكبر وسعادتها إلا في الزواج، في أن تكون زوجًا صالحة، وأمًّا موقرة، وربة بيت.**

سواء في ذلك الملكات والأميرات وممثلات هوليود ذوات الشهرة والبريق الذي يخدع كثيرات من النساء. وأنا أعرف أديبتين كبيرتين في مصر والشام، أديبتين حقًا، جمُع لهما المالُ والمجد الأدبي، ولكنهما فقدتا الزوج فقدتا العقل وصارتا مجنونتين، ولا تحرجيني بسؤالي عن الأسماء إنها معروفة!!

الزواج أقصى أماني المرأة ولو صارت عضوة البرلمان، وصاحبة السلطان.

والفاسقة المستهترة لا يتزوجها أحدٌ، حتى الذي يغوي البنتَ الشريفة بوعد الزواج، إن هي غوت وسقطت تركَها وذهب -إذا أراد الزواج- فتزوج غيرَها من الشريفات، لأنه لا يرضى أن تكون ربةُ بيته، وأمُّ بنته، امرأةً ساقطة!

والرجل وإن كان فاسقًا داعرًا، إذا لم يجد في سوق اللذات بنتًا ترضى أن تُريق كرامتها على قدميه، وأن تكون لعبةً بين

يديه، إذ لم يجد البنتَ الفاسقة أو البنت المغفلة، التي تشاركه في الزواج على دِين إبليس، وشريعةِ القطط في شباط، طلَب مَن تكون زوجته على سُنة الإسلام.

فكسادُ سوق الزواج منكن يا بنات، لو لم يكن منكن الفاسقات ما كسدت سوقُ الزواج ولا راجت سوق الفجور ... فلماذا لا تعملن، لماذا لا تعمل شريفاتُ النساء على محاربة هذا البلاء؟

أنتن أولى به وأقدر عليه منا، لأنكن أعرف بلسان المرأة، وطرقِ إفهامها، ولأنه لا يذهب ضحيةُ هذا الفساد إلا أنتن: البنات العفيفات الشريفات، البنات الصَّينات الدينات.

في كل بيت من بيوت الشام بناتٌ في سنِّ الزواج لا يجدن زوجًا، لأن الشباب وجدوا من الخليلات ما يغني عن الحليلات، ولعل مثل هذا في غير الشام أيضًا ...

فألِّفن جماعاتٍ منكن؛ من الأديبات والمتعلمات، ومدرسات المدرسة، وطالبات الجامعة، تُعيد أخواتكن الضالات إلى الجادة، خوِّفْنهن اللهَ، فإن كنَّ لا يَخَفنه، فحذرنهن المرضَ، فإن كنَّ لا يحذرنه، فخاطبنهن بلسان الواقع.

قلن لهن: إنكن صبايا جميلاتٌ، فلذلك يُقبل الشباب عليكن، ويحومون حولكن، ولكن هل يدوم عليكن الصبا والجمالُ؟ ومتى دام في الدنيا شيءٌ حتى يدوم على الصبية

صباها؟! وعلى الجميلة جمالها؟! فكيف بكنَّ إذا صِرتن عجائزَ مُحنيات الظهور، مجعدات الوجوه؟! من يهتم يومئذ بكنَّ؟ ومن يسأل عنكن؟

أتعرفن من يهتم بالعجوز ويكرمها ويوقرها؟ أولادُها وبناتها، وحفدتها وحفيداتها، هنالك تكون العجوزُ ملكةً في رعيتها، ومتوجةً على عرشها، على حين تكون (الأخرى ...)، أنتن أعرف بما تكون عليه[1] !

فهل تساوي هذه اللذة تلك الآلام؟ وهل تشتري بهذه البداية تلك النهاية؟

وأمثال هذا الكلام لا تحتجن إلى من يدلكن عليه، ولا تعدمن وسيلةً إلى هداية أخواتكن المسكينات الضالات، فإن لم تستطعن ذلك معهن فاعملن على وقاية السالمات مِن مرضهن، والناشئات الغافلات من أن يسلكن طريقَهن.

***

(١) رأيت في بروكسل عند ملتقى طريقين، وقد فتح الطريق للمارة، عجوزاً لا تحملها ساقاها. تضرب من الكِبر أعضاؤها، تريد أن تجتاز والسيارات من حولها تكاد تدعسها، ولا يمسك أحد بيدها، فقلت لمن كان معي من الشباب: ليذهب أحدُكم فليساعدها، وكان معنا الصديق الأستاذ نديم ظبيان -وهو مقيم في بروكسل من أكثر من أربعين سنة-، فقال لي: أتدري أن هذه العجوز كانت يومًا جميلةَ البلدة، وفتنة الناس، وكان الرجال يلقون بقلوبهم وما في (جيوبهم) على قدميها ليفوزوا بنظرة أو لمسة منها، فلما ذهب شبابُها وزوى جمالها، لم تعد تجد من يمسك بيدها!!

وأنا لا أطلب منكن أن تَعدن بالمرأة المسلمة اليوم بوَثبة واحدة إلى مثل ما كانت عليه المرأة المسلمة حقًا، لا، وإني لأعلمُ أن الطفرة مستحيلةٌ في العادة[1]، ولكن أن ترجعن إلى الخير خطوةً خطوة، كما أقبلتن على الشرِّ خطوة خطوة، إنكن قصَرتن الثيابَ شعرةً شعرة، ورققتن الحجابَ، وصبرتن الدهرَ الأطول تعملن لهذا الانتقال -والرجل الفاضل لا يشعر به-، والمجلاتُ الداعرة تحث عليه، والفُساق يفرحون به، حتى وصلنا إلى حالٍ لا يرضى بها الإسلامُ، ولا ترضى بها النصرانية، ولم يعملها المجوسُ الذين نقرأ أخبارَهم في التاريخ، إلى حال تأباها الحيواناتُ.

إن الدِّيكين إذا اجتمعا على الدجاجة اقتتلا غَيْرةً عليها وذودًا عنها، وعلى الشواطئ في الإسكندرية وبيروت رجالٌ مسلمون، لا يغارون على نسائهم المسلمات أن يراهن الأجنبي، لا أن يرى وجوهَهن ... ولا أكفهن ... ولا نُحورهن ... بل كلَّ شيء فيهن!! كلَّ شيء إلّا الشيء الذي يقبح مُرآه

---

(١) فالليل أسود مظلم، والضحى مشرق وضاح، ولكن الله ما نقلنا من الظلّام إلى النور في لحظة، بل هو يولج النهار في الليل، فلا تحس بهذه النقلة، كالعقرب الصغير في الساعة، تراه واقفاً لا يتحرك، ولكن عُد إليه بعد ساعتين تره قد مشى، وكذلك ينتقل الإنسان من الطفولة إلى الصبا، ومن الشباب إلى الشيخوخة، وكذلك يكون تبدل الأمم وتحولها من حال إلى حال.

ويجمل سِتره، وهو حلقتا العورتين، وحلمتا الثديين[1] ...

وفي النوادي والسهرات (التقدمية) الراقية، رجالٌ مسلمون يقدمون نساءهم المسلمات للأجنبي ليراقصهن، يضمهن حتى يلامس الصدرُ الصدرَ، والبطنُ البطنَ، والفمُ الخدَّ، والذراعُ ملتوية على الجسد، ولا ينكر ذلك أحدٌ، وفي الجامعات المسلمة شبابٌ مسلمون يجالسون بناتٍ مسلمات متكشفاتٍ باديات العورات، ولا ينكر ذلك الآباءُ المسلمون ولا الأمهات المسلمات، وأمثال هذا!!

وأمثال هذا كثيرٌ لا يُدفع في يوم واحد، ولا بوثبة عاجلة، بل بأن نعود إلى الحقِّ من الطريق الذي وصلنا منه إلى الباطل، ولو وجدناه الآن طويلًا، وإن من لا يسلك الطريقَ الطويل الذي لا يجد غيرَه لا يصل أبدًا، وأن نبدأ بمحاربة الاختلاط.

والاختلاطُ غير السفور، أما كشف الوجه، إن كان لا يتحقق بكشفه الضَّررُ على الفتاة والعدوانُ على عفافها، فأمره أسهل، ولعله أهون من هذا الذي نسميه في بلاد الشام حجابًا، وما هو إلا سِتر للمعايب، وتجسيم للجمال، وإغراءٌ للناظر.

السُّفور إن اقتصر على الوجه كما خلَق اللهُ الوجهَ ليس

(١) وقد بلغنا أنهن كشفن عن هذا أخيرًا، فبدا الصدر كله عاريًا.

حرامًا متفقًا على حرمته، وإن كنا نرى السِّتر أحسنَ وأولى، وكان سترُه عند خوف الفتنة واجبًا.

أما الاختلاط فشيء آخر، وليس يلزم من السفور أن تختلط الفتاةُ بغير محارمها، وأن تستقبل الزوجةُ السافرة صديقَ زوجها في بيتها، أو أن تُحييه إن قابلته في الترام، أو لَقِيته في الشارع، وأن تصافح البنتُ رفيقَها في الجامعة، أو أن تصل الحديثُ بينها وبينه، أو أن تمشي معه في الطريق، وتستعد معه للامتحان، وتنسى أن الله جعلها أنثى وجعله ذكرًا، وركَب في كلٍّ الميلَ إلى الآخر، فلا تستطيع هي ولا هو ولا أهلُ الأرض جميعًا، أن يُغيروا خِلقة الله، وأن (يساووا) بين الجنسين[1]، أو أن يمحوا من نفوسهم هذا الميل.

وإن دُعاة المساواة والاختلاط باسم المَدَنية قومٌ كذابون من جهتين: كذابون؛ لأنهم ما أرادوا من هذا كلِّه إلا إمتاعَ جوارِحِهم، وإرضاءَ ميولهم، وإعطاءَ نفوسهم حظها من لَذة النظر، وما يأملون به من لذائذ أُخَر، ولكنهم لم يجدوا الجرأةَ على التصريح به، فلبسوه بهذا الذي يَهْرِفون به من هذه

(١) لي مقالات وأحاديث شرحت فيها معنى المساواة، وأنها تكون في الحقوق والواجبات، والثواب والعقاب لا في الوظائف، فلا يحبل الرجلُ ويرضع بدلاً من المرأة، ولا تحارب هي أو تمْتهن المِهن الشاقة بدلًا من الرجل، ولا الأعمال المحرمة أو التي تجرها إلى الحرام.

الألفاظ الطَّنانة، التي ليس وراءها شيءٌ: التَّقدمية، والتمدن، والفن، والحياة الجامعية، والروح الرياضية، وهذا الكلام الفارغ (على دويه) من المعنى فكأنه الطبل.

وكذابون؛ لأن أوروبة التي يأتمون بها، ويهتدون بهديها، ولا يعرفون الحقَّ إلا بدمغتها عليه، فليس الحقُّ عندهم الذي يقابل الباطلَ، ولكن الحقَّ ما جاء من هناك: من باريس ولندن وبرلين ونيويورك، ولو كان الرقصَ والخلاعة، والاختلاطَ في الجامعة، والتكشفَ في الملعب والعُري على الساحل[1]، والباطلَ ما جاء من هنا: من الأزهر والأُموي وهاتيك المدارس الشرقية، والمساجد الإسلامية، ولو كان الشرفَ والهدى والعفاف والطهارة، طهارة القلب وطهارة الجسد.

إن في أوروبا وفي أميركا -كما قرأنا وحدثنا من ذهب إليهما-، أُسرًا كثيراتٍ لا ترضى بهذا الاختلاط ولا تُسيغه، وإن في باريز (في باريس يا ناس) آباءً وأمهاتٍ لا يسمحون لبناتهم الكبيرات أن يسرن مع شاب، أو يصحبنه إلى السينما، بل هم لا يدخلونهن إلا إلى روايات عرفوها، وأيقنوا بسلامتها من الفحش والفجور، اللذين لا يخلو منهما مع الأسف واحدٌ من هذه (التهريجات) والصبيانيات السخيفة التي تسميها شركاتُ مصر الهزيلةُ الرقيعة (الجاهلةُ بالفن السينمائي مثل جهلها بالدين) تسميها أفلامًا !!

(١) ومن هنالك أيضًا جاءت دولة إسرائيل.

يقولـون: إن الاختلاط يكسـر شِـرَة الشـهوة، ويُهـذب الُخلق، وينـزع من النفـس هذا الجنونَ الجنسـي. وأنا أحيـل في الجواب علـى مـن جـرَّب الاختلاف فـي المدارس، روسـيا التـي لا تعود إلـى دِين، ولا تسـمع رأي شـيخٍ ولا قسـيس، ألم ترجـع عن هذه التجربة لما رأت فسـادها؟!

وأميـركا، ألـم تقـرؤوا أن مـن جملة مشـاكل أمريكا، مشـكلة ازديـاد نسـبة (الحاملات) من الطالبـات[1]؟ فمن يسـرُّه أن يكون فـي جامعـات مصـر والشـام، وسـائر بـلاد الإسـلام مثـل هـذه المشكلة؟!

وأنـا لا أخاطـب الشـبابَ، ولا أطمـع في أن يسـمعوا لي، وأنا أعلـم أنهـم قد يـردُّون عليَّ ويُسـفهون رأيـي، لأنـي أحرمهم من لذائـذ مـا صدقـوا أنهم قـد وصلوا إليهـا حقًّا.

ولكـن أخاطبكـن أنتن يـا بناتي. يـا بناتي المؤمنـات الدينات، يـا بناتـي الشـريفات العفيفـات، إنـه لا يكـون الضحيـةُ إلا أنتـن، فـلا تقدِّمـن نُفوسَـكن ضحايـا علـى مذبـح إبليـس، لا تسـمعن

---

(١) لذلك صاروا يدرسون الثقافة الجنسية في المدارس. أي إنهم يصبون البنزين على النار، أي إنهم يصفون للفتاة الغافلة البريئة ما خفي من سوأة الرجل، وماذا يصنع إذا خلا بالأنثى، ووُجد فينا من شياطين الإنس من يدعونا إلى أن نصنع في ذلك مثل صنيعهم. كما أنهم صاروا يدربون طالبات المدارس المتوسطة على استعمال حبوب منع الحمل.

كلامَ هؤلاء الذين يزينون لكُنَّ حياةَ الاختلاف باسم الحرية والمَدنية والتَّقدمية والفن والحياة الجامعية، فإن أكثر هؤلاء الملاعين لا زوجةَ له ولا ولد، ولا يهمه منكن جميعًا إلا اللذة العارضة، أما أنا فإني أبو بنات، فأنا حين أدافع عنكن أدافع عن بناتي، وأنا أريد لكُنَّ من الخير ما أريده لهن.

إنه لا شيء مما يَهْرف به هؤلاء يرُّد على البنت عِرضَها الذاهب، ولا يرجع لها شرَفَها المثلوم، ولا يعيد لها كرامتَها الضائعة، وإذا سقطت البنتُ لم تجد واحدًا منهم يأخذ بيدها، أو يرفعها من سقطتها، إنما تجدهم جميعًا يتزاحمون على جمالها، ما بقي فيها جمالٌ، فإذا ولى ولوا عنها، كما تولِّي الكلابُ عن الجيفة التي لم يبق فيها مزعةُ لحم!

***

هذه نصيحتي إليك يا بنتي، وهذا هو الحقُّ فلا تسمعي غيره، واعلمي أن بيدك أنت، لا بأيدينا معشر الرجال، بيدك مفتاحَ باب الإصلاح، فإذا شئت أصلحتِ نفسكِ وأصلحت بصلاحك الأمةَ كلها.

والسلام عليكم ورحمة الله

علي الطنطاوي